## الصفات السلوكية والخلقية لأهل السنة والجماعة

**قال المؤلف-رحمه الله تعالى-:**

(ثُمَّ هُم مَّعَ هَذِهِ الأُصُولِ يَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ، وَيَنْهَونَ عَنِ الْمُنْكَرِ عَلَى مَا تُوجِبُهُ الشَّرِيعَةُ: وَيَرَوْنَ إِقَامَةَ الْحَجِّ وَالْجِهَادِ وَالْجُمَعِ وَالأَعْيَادِ مَعَ الأُمَرَاءِ أَبْرَارًا كَانُوا أَوْ فُجَّارًا، وَيُحَافِظُونَ عَلَى الْجَمَاعَاتِ. وَيَدِينُونَ بِالنَّصِيحَةِ لِلأُمَّةِ، وَيَعْتَقِدُونَ مَعْنَى قَوْلِهِ ـ صلى الله عليه وسلم ـ : (الْمُؤْمِنُ لِلْمُؤْمِنِ كَالْبُنْيَانِ الْمَرْصُوصِ؛ يَشُدُّ بَعْضُهُ بَعْضًا)[1]، وَشَبَّكَ بَيْنَ أَصَابِعِهِ، وَقَوْلِهِ صلى الله عليه وسلم: (مَثَلُ الْمُؤْمِنِينَ فِي تَوَادِّهِمْ وَتَرَاحُمِهِمْ وَتَعَاطُفِهِمْ كَمَثَلِ الْجَسَدِ؛ إِذَا اشْتَكَى مِنْهُ عُضْوٌ؛ تَدَاعَى لَهُ سَائِرُ الْجَسَدِ بُالْحُمَّى وَالسَّهَرِ)[2].

وَيَأْمُرُونَ بِالصَّبْرِ عِنْدَ الْبَلاءِ، وَالشُّكْرِ عِنْدَ الرَّخَاءِ وَالرِّضَا بِمُرِّ الْقَضَاءِ. وَيَدْعُونَ إِلَى مَكَارِمِ الأَخْلاقِ، وَمَحَاسِنِ الأَعْمَالِ، وَيَعْتَقِدُونَ مَعْنَى قَوْلِهِ صلى الله عليه وسلم: (أَكْمَلُ الْمُؤْمِنِينَ إِيمَانًا أَحْسَنُهُمْ خُلُقًا)[3].

وَيَنْدُبُونَ إِلَى أَنْ تَصِلَ مَنْ قَطَعَكَ، وَتُعْطِيَ مَنْ حَرَمَكَ، وَتَعْفُوَ عَمَّنْ ظَلَمَكَ. وَيَأْمُرُونَ بِبِرِّ الْوَالِدَيْنِ، وَصِلَةِ الأَرْحَامِ، وَحُسْنِ الْجِوَارِ، وَالإِحْسَانِ إِلَى الْيَتَامَى وَالْمَسَاكِينِ وَابْنِ السَّبِيلِ، وَالرِّفْقِ بِالْمَمْلُوكِ. وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْفَخْرِ، وَالْخُيَلاءِ، وَالْبَغْيِ، وَالاسْتِطَالَةِ عَلَى الْخَلْقِ بِحَقٍّ أَوْ بِغَيْرِ حَقٍّ. وَيَأْمُرُونَ بِمَعَالِي الأَخْلاقِ، وَيَنْهَوْنَ عَنْ سَفْسَافِهَا. وَكُلُّ مَا يَقُولُونَهُ وَيَفْعَلُونَهُ، مِنْ هَذَا وَغَيْرِهِ؛ فَإِنَّمَا هُمْ فِيهِ مُتَّبِعُونَ لِلْكِتَابِ وَالسُّنَّةِ).

### (الشرح)

بعد أن فرغ المصنف من ذكر منهج الاستدلال، انتقل إلى ذكر جوانب مهمة، يغفل عنها كثير من المنتسبين إلى السنة، وهو ما يتعلق بالسلوك والأخلاق، فربما ظن بعض الناس أن العقيدة مجرد محفوظات متنيّة، لا شأن لها بالمسائل المسلكية والخلقية، وهذا غلط فظيع! فينبغي لطالب العلم أن يتزين بزينة الإيمان، وأن يتحلى بحلية العلم، ويقرن القول بالعمل.

**قوله:** (ثُمَّ هُم مَّعَ هَذِهِ الأُصُولِ يَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ، وَيَنْهَونَ عَنِ الْمُنْكَرِ عَلَى مَا تُوجِبُهُ الشَّرِيعَةُ): لا ريب أن من أبرز صفات أمة محمد، صلى الله عليه وسلم، وأعظم علامات خيريّتها الأمر بالمعروف، والنهي عن المنكر؛ لأمر الله تعالى: {وَلْتَكُنْ مِنْكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى الْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ} [آل عمران: ١٠٤]، ووصفه إياها بعد ذلك بقوله: {كُنْتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ } [آل عمران: ١١٠]، فأمة محمد، صلى الله عليه وسلم، أمة

---

[1] أخرجه البخاري: رقم (٤٨١)، ومسلم: رقم (٢٥٨٥).

[2] أخرجه البخاري: رقم (٦٠١١)، ومسلم: رقم (٢٥٨٦).

[3] أخرجه أحمد: رقم (٧٤٠٢)، وأبو داود: رقم (٤٦٨٢)، والترمذي: رقم (١١٦٢)، وقال: هذا حديث حسن صحيح، وقال الحاكم: هذا حديث صحيح، لم يخرج في الصحيحين. (المستدرك: ١/٤٣).

السيادة والقيادة والريادة؛ تقود الناس إلى الجنة بالسلاسل، كما جاء، فهم رحمة على الناس؛ لأن نبيهم، صلى الله عليه وسلم، كان رحمة للعالمين: {وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا رَحْمَةً لِلْعَالَمِينَ} [الأنبياء: ١٠٧].

لكن ينبغي أن يقيد الأمر بالمعروف، والنهي عن المنكر بما ذكر المؤلف: (عَلَى مَا تُوجِبُهُ الشَّرِيعَةُ)، وذلك بتحقيق ثلاثة شروط؛ شرط قبله، وشرط معه، وشرط بعده:

الشرط الأول: العلم، ويكون قبله، فمن أمر ونهى بغير علم أفسد أكثر مما أصلح.

الشرط الثاني: الرفق، ويكون معه، فمن كان فظًا غليظًا انفض الناس عنه، وردوا قوله.

الشرط الثالث: الصبر، ويكون بعده، فلا يجزع لما يقع عليه من أذى قولي، أو فعلي. ولهذا قال لقمان لابنه: {وَأْمُرْ بِالْمَعْرُوفِ وَانْهَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَاصْبِرْ عَلَى مَا أَصَابَكَ} [لقمان: ١٧].

**قوله: (وَيَرَوْنَ إِقَامَةَ الْحَجِّ وَالْجِهَادِ وَالْجُمَعِ وَالأَعْيَادِ مَعَ الأُمَرَاءِ أَبْرَارًا كَانُوا أَوْ فُجَّارًا)**: استقر مذهب أهل السنة والجماعة على طاعة الأمراء، أبرارًا كانوا، أو فجارًا؛ لأن في طاعتهم وحدة الصف، واجتماع الأمة، وفي الخروج عليهم إزهاق الأرواح، وسفك للدماء، وقد جرّب المسلمون، في عصور متقدمة، ما يترتب على الخروج على الولاة فوجدوا شؤم مغبته؛ خرج الحسين بن علي -رضي الله عنه، وعن أبيه- على بني أمية بإغراء من الروافض إلى "كربلاء"، ثم خذلوه، فوقع ما وقع من قتله، رضي الله عنه، واستشهاده، وخرج الفقهاء مع عبد الرحمن بن الأشعث، وفيهم سعيد بن جبير، والشعبي، على الحجاج بن يوسف الثقفي، فأوقع فيهم مقتلة عظيمة في "دير الجماجم"، فصار أهل السنة والجماعة يتواصون بما دلت عليه الأحاديث الصحيحة الصريحة، من الصبر على جور الولاة، وعدم الخروج عليهم، ونقض بيعتهم.

وقد أمر صلى الله عليه وسلم بالسمع والطاعة، فعَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: (اسْمَعُوا وَأَطِيعُوا، وَإِنِ اسْتُعْمِلَ عَلَيْكُمْ عَبْدٌ حَبَشِيٌّ، كَأَنَّ رَأْسَهُ زَبِيبَةٌ)[1].

وأمر بالصبر على جور الولاة، فعَنْ عَبْدِ اللهِ بن مسعود، قَالَ: (قَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: (إِنَّهَا سَتَكُونُ بَعْدِي أَثَرَةٌ وَأُمُورٌ تُنْكِرُونَهَا)، قَالُوا: يَا رَسُولَ اللهِ، كَيْفَ تَأْمُرُ مَنْ أَدْرَكَ مِنَّا ذَلِكَ؟ قَالَ: (تُؤَدُّونَ الْحَقَّ الَّذِي عَلَيْكُمْ، وَتَسْأَلُونَ اللهَ الَّذِي لَكُمْ)[2].

ونهى عن الخروج عليهم، ومنابذتهم، فعَنْ جُنَادَةَ بْنِ أَبِي أُمَيَّةَ، قَالَ: دَخَلْنَا عَلَى عُبَادَةَ بْنِ الصَّامِتِ وَهُوَ مَرِيضٌ، فَقُلْنَا: حَدِّثْنَا أَصْلَحَكَ اللهُ، بِحَدِيثٍ يَنْفَعُ اللهُ بِهِ سَمِعْتَهُ مِنْ رَسُولِ اللهِ، صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ

---

[1] أخرجه البخاري: رقم (٧١٤٢).

[2] أخرجه البخاري: رقم (٣٦٠٣)، ومسلم: رقم (١٨٤٣) واللفظ له.

وَسَلَّمَ، فَقَالَ: دَعَانَا رَسُولُ الله، صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فَبَايَعْنَاهُ، فَكَانَ فِيمَا أَخَذَ عَلَيْنَا: (أَنْ بَايَعَنَا عَلَى السَّمْعِ وَالطَّاعَةِ فِي مَنْشَطِنَا وَمَكْرَهِنَا، وَعُسْرِنَا وَيُسْرِنَا، وَأَثَرَةٍ عَلَيْنَا، وَأَنْ لَا نُنَازِعَ الْأَمْرَ أَهْلَهُ)، قَالَ: (إِلَّا أَنْ تَرَوْا كُفْرًا بَوَاحًا عِنْدَكُمْ مِنَ اللهِ فِيهِ بُرْهَانٌ)[1].

**فمنع النبي صلى الله عليه وسلم الخروج على الولاة إلا بتوفر أربعة شروط ثقال:**

**الشرط الأول**: الرؤية المحققة: التي يحصل بها العلم القطعي، لا الظنون، والبلاغات، والإشاعات.

**الشرط الثاني**: كونه كفرًا، فإن كان فسقًا لم يبح الخروج؛ كشرب الخمر، أو الزنا، أو الربا، أو الظلم.

**الشرط الثالث**: أن يكون بواحًا: أي ظاهرًا باديًا مستعلنًا، فإن كان خفيًّا فلسنا مأمورين بالتنقيب والبحث.

**الشرط الرابع**: البرهان: وهو الدليل الشرعي القطعي؛ من آية محكمة، أو سنة ثابته.

**وهناك شرط خامس تدل عليه عمومات الشريعة**: وهو القدرة، فلو تحققت الشروط الأربعة السابقة، ولم تتحقق القدرة؛ لم يبح الخروج؛ لأن الله قد قال للمسلمين في مكة: {كُفُّوا أَيْدِيَكُمْ وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ} [النساء: ٧٧].

فلا يجوز التغرير بالأمة، والمجازفة بها بالثورات، وتعريضها للضرر المحقق؛ قال شيخ الإسلام ابن تيمية، رحمه الله: (وَلَعَلَّهُ لَا يَكَادُ يَعْرِفُ طَائِفَةً خَرَجَتْ عَلَى ذِي سُلْطَانٍ، إِلَّا وَكَانَ فِي خُرُوجِهَا مِنَ الْفَسَادِ مَا هُوَ أَعْظَمُ مِنَ الْفَسَادِ الَّذِي أَزَالَتْهُ. وَاللَّهُ تَعَالَى لَمْ يَأْمُرْ بِقِتَالِ كُلِّ ظَالِمٍ وَكُلِّ بَاغٍ كَيْفَمَا كَانَ، وَلَا أَمَرَ بِقِتَالِ الْبَاغِينَ ابْتِدَاءً بَلْ قَالَ: {وَإِنْ طَائِفَتَانِ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ اقْتَتَلُوا فَأَصْلِحُوا بَيْنَهُمَا فَإِنْ بَغَتْ إِحْدَاهُمَا عَلَى الْأُخْرَى فَقَاتِلُوا الَّتِي تَبْغِي حَتَّى تَفِيءَ إِلَى أَمْرِ اللَّهِ فَإِنْ فَاءَتْ فَأَصْلِحُوا بَيْنَهُمَا بِالْعَدْلِ} [سُورَةُ الْحُجُرَاتِ: ٩] فَلَمْ يَأْمُرْ بِقِتَالِ الْبَاغِيَةِ ابْتِدَاءً، فَكَيْفَ يَأْمُرُ بِقِتَالِ وُلَاةِ الْأَمْرِ ابْتِدَاءً؟)

وقد كان منهج الصحابة يختلف عن منهج القراء، فعَنِ الزُّبَيْرِ بْنِ عَدِيٍّ، قَالَ: أَتَيْنَا أَنَسَ بْنَ مَالِكٍ، فَشَكَوْنَا إِلَيْهِ مَا نَلْقَى مِنَ الحَجَّاجِ، فَقَالَ: (اصْبِرُوا، فَإِنَّهُ لَا يَأْتِي عَلَيْكُمْ زَمَانٌ إِلَّا الَّذِي بَعْدَهُ شَرٌّ مِنْهُ، حَتَّى تَلْقَوْا رَبَّكُمْ)، سَمِعْتُهُ مِنْ نَبِيِّكُمْ، صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.)[2]، فكان منهج الصحابة الصبر، حتى يُستراح من فاجر، أو يستريح الإنسان، وكان منهج القرّاء الخروج، فجرى ما جرى في فتنة ابن الأشعث؛ فعلى طالب العلم أن يتروى في هذه الأمور، وينظر في عواقبها، ويحفظ وحدة الأمة، ويحذر أن يسعى في حل عقد البيعة، ولو بشبر؛ فإن من فارق الجماعة قيد شبر فمات، فميتته جاهلية.

---

[1] أخرجه البخاري: رقم (٧٠٥٥)، ومسلم: رقم (١٧٠٩).

[2] أخرجه البخاري: رقم (٧٠٦٨).

**قوله:** (وَيُحَافِظُونَ عَلَى الْجَمَاعَاتِ، وَيَدِينُونَ بِالنَّصِيحَةِ لِلأُمَّةِ): كما أمر النبي، صلى الله عليه وسلم: (الدِّينُ النَّصِيحَةُ» قُلْنَا: لِمَنْ؟ قَالَ: لِلَّهِ وَلِكِتَابِهِ وَلِرَسُولِهِ وَلِأَئِمَّةِ الْمُسْلِمِينَ وَعَامَّتِهِمْ)[١]؛ فعلى العبد المؤمن أن يكون قلبه مسكونًا بالنصح والشفقة، لا يكن همّه التشفي، أو الانتقام، أو الوقيعة، أو الخوض في أعراض المسلمين.

**قوله:** (وَيَعْتَقِدُونَ مَعْنَى قَوْلِهِ صلى الله عليه وسلم: "الْمُؤْمِنُ لِلْمُؤْمِنِ كَالْبُنْيَانِ الْمَرْصُوصِ[٢]؛ يَشُدُّ بَعْضَهُ بَعْضًا، وَشَبَّكَ بَيْنَ أَصَابِعِهِ"[٣]، **وقوله:** ((مَثَلُ الْمُؤْمِنِينَ فِي تَوَادِّهِمْ وَتَرَاحُمِهِمْ وَتَعَاطُفِهِمْ كَمَثَلِ الْجَسَدِ الواحد؛ إِذَا اشْتَكَى مِنْهُ عُضْوٌ؛ تَدَاعَى لَهُ سَائِرُ الْجَسَدِ بُالْحُمَّى وَالسَّهَرِ))[٤]: هذا هو الواجب بين المؤمنين أن يتعاضدوا، ويتعاونوا على مصالحهم، ويرفد بعضهم بعضًا، ويعين بعضهم بعضًا، وهذان مثلان نبويان بديعان:

أحدهما: ظاهري عملي، كما البنيان المرصوص، الذي ليس فيه ثغرة.

الثاني: باطني قلبي: كما الجسد الواحد، شكواه واحدة؛ فلو أصابك ألم في طرف أصبعك لوجدت الصداع في رأسك، ولو أصابك وعكة في بطنك لأحسست بإنهاك في جميع بدنك، فهكذا ينبغي أن يكون المؤمنون، في أصقاع الأرض، يحسون بالرابطة الإيمانية، ويتعاونون على البر والتقوى.

**قوله:** (وَيَأْمُرُونَ بِالصَّبْرِ عِنْدَ الْبَلاءِ، وَالشُّكْرِ عِنْدَ الرَّخَاءِ وَالرِّضَا بِمُرِّ الْقَضَاءِ. وَيَدْعُونَ إِلَى مَكَارِمِ الأَخْلاقِ، وَمَحَاسِنِ الأَعْمَالِ، وَيَعْتَقِدُونَ مَعْنَى قَوْلِهِ صلى الله عليه وسلم: (أَكْمَلُ الْمُؤْمِنِينَ إِيمَانًا أَحْسَنُهُمْ خُلُقًا)[٥]: للإنسان صورتان:

- صورة ظاهرة: وهي البنية الجسدية؛ من طول أو قصر، وبياض أو سواد، وقوة أو ضعف، وهي الصورة الخَلقية.

- صورة باطنة: وهي ما جبل عليه من طباع وسجايا وأخلاق، حسنة أو قبيحة، وهي الصورة الخُلقية؛ فينبغي أن تحرص على تزيين صورتك الباطنة أعظم من حرصك على تزيين صورتك الظاهرة؛ باكتساب الأخلاق الكريمة، والآداب الرفيعة.

---

[١] أخرجه مسلم: رقم (٥٥).

[٢] هذه اللفظة يشهد لها قول الله تعالى: {كأنهم بنين مرصوص}.

[٣] أخرجه البخاري: رقم (٤٨١)، ومسلم: رقم (٢٥٨٥).

[٤] أخرجه البخاري: رقم (٦٠١١)، ومسلم: رقم (٢٥٨٦).

[٥] أخرجه أحمد: رقم (٧٤٠٢)، وأبو داود: رقم (٤٦٨٢)، والترمذي: رقم (١١٦٢)، وقال: هذا حديث حسن صحيح، وقال الحاكم: هذا حديث صحيح، لم يخرج في الصحيحين. (المستدرك: ٤٣/١).

والأخلاق نوعان: جبليٌّ، وكسبيٌّ. فإن جبلك الله على أخلاق حميدة؛ فاحمد الله تعالى عليها، وسخرها في مرضاته، وإن جبلك على أخلاق ذميمة؛ فاسعْ للتخلص منها، واكتساب أضدادها، وكل ذلك ممكن، فقد قال الله تعالى: {وَالَّذِينَ جَاهَدُوا فِينَا لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَنَا} [العنكبوت: ٦٩].

وقد ذكر المصنف، رحمه الله، ثلاثة من محاسن الأخلاق والأعمال: الصبر، والشكر، والرضا، وهي من أعظم أسباب السعادة؛ عَنْ صُهَيْبٍ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: (عَجَبًا لِأَمْرِ الْمُؤْمِنِ، إِنَّ أَمْرَهُ كُلَّهُ خَيْرٌ، وَلَيْسَ ذَاكَ لِأَحَدٍ إِلَّا لِلْمُؤْمِنِ، إِنْ أَصَابَتْهُ سَرَّاءُ شَكَرَ، فَكَانَ خَيْرًا لَهُ، وَإِنْ أَصَابَتْهُ ضَرَّاءُ، صَبَرَ فَكَانَ خَيْرًا لَهُ)[1].

**قوله: (وَيَنْدُبُونَ إِلَى أَنْ تَصِلَ مَنْ قَطَعَكَ، وَتُعْطِيَ مَنْ حَرَمَكَ، وَتَعْفُوَ عَمَّنْ ظَلَمَكَ. وَيَأْمُرُونَ بِبِرِّ الْوَالِدَيْنِ، وَصِلَةِ الأَرْحَامِ، وَحُسْنِ الْجِوَارِ، وَالإِحْسَانِ إِلَى الْيَتَامَى وَالْمَسَاكِينِ وَابْنِ السَّبِيلِ، وَالرِّفْقِ بِالْمَمْلُوكِ، وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْفَخْرِ، وَالْخُيَلاءِ، وَالْبَغْيِ، وَالاسْتِطَالَةِ عَلَى الْخَلْقِ بِحَقٍّ أَوْ بِغَيْرِ حَقٍّ. وَيَأْمُرُونَ بِمَعَالِي الأَخْلاَقِ، وَيَنْهَوْنَ عَنْ سَفْسَافِهَا)**: هذه طائفة من الأعمال الصالحة، والقربات الفاضلة، كل واحد منها يستحق أن يُفرَد له باب، والمقصود: أن من شأن أهل السنة والجماعة العناية بالجوانب المسلكية والخلقية؛ فإن الله بعث نبيه، صلى الله عليه وسلم، بأمرين: قال تعالى: {هُوَ الَّذِي أَرْسَلَ رَسُولَهُ بِالْهُدَى وَدِينِ الْحَقِّ} [التوبة: ٣٣]، فالهدى هو العلم النافع، ودين الحق هو العمل الصالح؛ فكن يا طالب العلم شامة بين الناس؛ بحسن خلقك، وعملك الصالح، كن قدوة وأسوة لغيرك؛ بالإحسان إلى الخلق، ونفعهم، والسعي في مصالحهم، وصلة الرحم، وبر الوالدين، وهكذا بقية الخصال الإيمانية العظيمة، التي قال عنها النبي، صلى الله عليه وسلم: (الْإِيمَانُ بِضْعٌ وَسَبْعُونَ - أَوْ بِضْعٌ وَسِتُّونَ - شُعْبَةً، فَأَفْضَلُهَا قَوْلُ لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ، وَأَدْنَاهَا إِمَاطَةُ الْأَذَى عَنِ الطَّرِيقِ، وَالْحَيَاءُ شُعْبَةٌ مِنَ الْإِيمَانِ)[2].

**قوله: (وَكُلُّ مَا يَقُولُونَهُ وَيَفْعَلُونَهُ مِنْ هَذَا وَغَيْرِهِ؛ فَإِنَّمَا هُمْ فِيهِ مُتَّبِعُونَ لِلْكِتَابِ وَالسُّنَّةِ)**: هذا إجمال لعموم طريقة أهل السنة والجماعة؛ فما دعا إليه الكتاب والسنة أخذوا به، وما نهى عنه الكتاب والسنة أمسكوا عنه؛ فلذلك كانوا زينة الدنيا والدين، وكانوا بركة على العالمين.

---

[1] أخرجه مسلم: رقم (٢٩٩٩).

[2] أخرجه البخاري: رقم (٩)، ومسلم: رقم (٣٥) واللفظ له.

## الدين والطريقة

**قال المؤلف-رحمه الله تعالى-:**

(وَطَرِيقَتُهُمْ هِيَ دِينُ الإِسْلاَمِ الَّذِي بَعَثَ اللهُ بِهِ مُحَمَّدًا، صلى الله عليه وسلم، لَكِنْ لَمَّا أَخْبَرَ النَّبِيُّ، صلى الله عليه وسلم، أَنَّ أُمَّتُهُ سَتَفْتَرِقُ عَلَى ثلاثٍ وَسَبْعِينَ فِرْقَةً؛ كُلُّهَا فِي النَّار؛ إلاَّ وَاحِدَةً، وَهِيَ الْجَمَاعَةُ. وَفِي حَدِيثٍ عَنْهُ أَنَّهُ قَالَ: (هُمْ مَنْ كَانَ عَلَى مِثْلِ مَا أَنَا عَلَيْهِ الْيَومَ وَأَصْحَابِي)[1]، صَارَ الْمُتَمَسِّكُونَ بِالإِسْلاَمِ الْمَحْضِ الْخَالِصِ عَنِ الشَّوْبِ هُمُ أَهْلُ السُّنَّةِ وَالْجَمَاعَةِ. وَفِيهِمُ الصِّدِّيقُونَ، وَالشُّهَدَاءِ، وَالصَّالِحُونَ، وَمِنْهُمُ أَعْلاَمُ الْهُدَى، وَمَصَابِيحُ الدُّجَى، أُولو الْمَنَاقِبِ الْمَأْثُورَةِ، وَالْفَضَائِلِ الْمَذْكُورَةِ، وَفِيهِمُ الأَبْدَالُ، وَفِيهِمْ أَئِمَّةُ الدِّينِ، الَّذِينَ أَجْمَعَ الْمُسْلِمُونَ عَلَى هِدَايَتِهِمْ وَدِرَايَتِهِمْ، وَهُمُ الطَّائِفَةُ الْمَنْصُورَةُ الَّذِينَ قَالَ فِيهِمُ النَّبِيُّ، صلى الله عليه وسلم: (لاَ تَزَالُ طَائِفَةٌ مِنْ أُمَّتِي عَلَى الْحَقِّ مَنْصُورَةً، لاَ يَضُرُّهُم مَّنْ خَالَفَهُمْ، وَلاَ مَنْ خَذَلَهُمْ؛ حَتَّى تَقُومَ السَّاعَةُ)[2].

### (الشرح)

**قوله:** (وَطَرِيقَتُهُمْ هِيَ دِينُ الإِسْلاَمِ الَّذِي بَعَثَ اللهُ بِهِ مُحَمَّدًا صلى الله عليه وسلم): دين الله واحد؛ هو الإسلام، الذي بعث الله به جميع أنبيائه ورسله، من لدن نوح إلى محمد، صلى الله عليه وسلم؛ قال تعالى: {إِنَّ الدِّينَ عِنْدَ اللَّهِ الْإِسْلَامُ} [آل عمران: ١٩]، وقال: {شَرَعَ لَكُمْ مِنَ الدِّينِ مَا وَصَّى بِهِ نُوحًا وَالَّذِي أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ وَمَا وَصَّيْنَا بِهِ إِبْرَاهِيمَ وَمُوسَى وَعِيسَى أَنْ أَقِيمُوا الدِّينَ وَلَا تَتَفَرَّقُوا فِيهِ} [الشورى: ١٣]، فدين الله واحد، ليس لله أديان متعددة، كما يتوهم بعض الناس! فإن قال قائل: ما بال اليهودية والنصرانية، أليست أديانًا لله؟ فالجواب: كلا، اليهودية والنصرانية ليست أديانًا لله، اليهودية: هي ما آل إليه دين موسى، عليه السلام، بعد تحريف الأحبار، والنصرانية: هي ما آل إليه دين عيسى، عليه السلام، بعد تحريف الرهبان، أما ما جاء به موسى وعيسى، عليهما السلام، فهو الإسلام، قال تعالى: {إِنَّا أَنْزَلْنَا التَّوْرَاةَ فِيهَا هُدًى وَنُورٌ يَحْكُمُ بِهَا النَّبِيُّونَ الَّذِينَ أَسْلَمُوا} [المائدة: ٤٤]، وقال: {وَقَالُوا كُونُوا هُودًا أَوْ نَصَارَى تَهْتَدُوا قُلْ بَلْ مِلَّةَ إِبْرَاهِيمَ حَنِيفًا وَمَا كَانَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ} [البقرة:

---

[1] أخرجه الترمذي: رقم (٢٦٤١)، والحاكم في المستدرك: رقم (٤٤٤)، والمروزي في كتاب السنة: رقم (٥٩).

[2] أخرجه البخاري: رقم (٣٦٤١)، ومسلم: رقم (١٠٣٧)، ورقم (١٥٦)، بألفاظ متقاربة.

١٣٥]، وقال: {أَمْ تَقُولُونَ إِنَّ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ وَالْأَسْبَاطَ كَانُوا هُودًا أَوْ نَصَارَى قُلْ أَأَنْتُمْ أَعْلَمُ أَمِ اللَّهُ} [البقرة: ١٤٠]؛ **لكن لفظ الإسلام له معنيان:**

- **معنى عام:** وهو الاستسلام لله بالتوحيد، والانقياد له بالطاعة، والخلوص من الشرك، وهو الذي جاء به جميع أنبياء الله؛ قال تعالى: {وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ مِنْ رَسُولٍ إِلَّا نُوحِي إِلَيْهِ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنَا فَاعْبُدُونِ} [الأنبياء: ٢٥].
- **معنى خاص:** وهو ما بعث الله به محمداً، صلى الله عليه وسلم، من العقائد الصحيحة، والشرائع العادلة، والأخلاق القويمة، والآداب العالية، فهذا هو الإسلام الذي لا يقبل الله ديناً سواه، بعد بعثة نبيه محمد، صلى الله عليه وسلم، فقد قال: (وَالَّذِي نَفْسُ مُحَمَّدٍ بِيَدِهِ، لَا يَسْمَعُ بِي أَحَدٌ مِنْ هَذِهِ الْأُمَّةِ يَهُودِيٌّ، وَلَا نَصْرَانِيٌّ، ثُمَّ يَمُوتُ وَلَمْ يُؤْمِنْ بِالَّذِي أُرْسِلْتُ بِهِ، إِلَّا كَانَ مِنْ أَصْحَابِ النَّارِ)[١].

وبهذا يتبين بطلان الدعوة إلى "توحيد الأديان"، أو "التقريب بين الأديان"، أما "الحوار بين أتباع الأديان" فيجب أن يكون حوار دعوة، لا مجرد دعوة إلى الحوار؛ فحوار الدعوة يتمثل بقوله تعالى: {قُلْ يَاأَهْلَ الْكِتَابِ تَعَالَوْا إِلَى كَلِمَةٍ سَوَاءٍ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ أَلَّا نَعْبُدَ إِلَّا اللَّهَ وَلَا نُشْرِكَ بِهِ شَيْئًا وَلَا يَتَّخِذَ بَعْضُنَا بَعْضًا أَرْبَابًا مِنْ دُونِ اللَّهِ فَإِنْ تَوَلَّوْا فَقُولُوا اشْهَدُوا بِأَنَّا مُسْلِمُونَ} [آل عمران: ٦٤]، أما الدعوة إلى الحوار، فهدفها كما يقول دعاتها: التعرف على الآخر ،كما يحب أن يعرف، وعدم انتقاده أو إدانته، أو التفكير في استمالته ودعوته، واعتبار ذلك خيانة للحوار!

**قوله: (لَكِنْ لَمَّا أَخْبَرَ النَّبِيُّ، صلى الله عليه وسلم، أَنَّ أُمَّتَهُ سَتَفْتَرِقُ عَلَى ثَلاثٍ وَسَبْعِينَ فِرْقَةً؛ كُلُّهَا فِي النَّارِ؛ إِلاَّ وَاحِدَةً، وَهِيَ السُّنَّةُ وَالْجَمَاعَةُ، صَارَ الْمُتَمَسِّكُونَ بِالإِسْلامِ الْمَحْضِ الْخَالِصِ عَنِ الشَّوْبِ هُمُ أَهْلُ السُّنَّةِ وَالْجَمَاعَةِ):** بيّن الشيخ سبب التسمي بأهل السنة والجماعة، مع أن الله تعالى قد قال في القرآن {هُوَ سَمَّاكُمُ الْمُسْلِمِينَ} [الحج: ٧٨]، وهو أن النبي، صلى الله عليه وسلم، أخبر بأن هذه الأمة التي يتسمى جميع فئاتها بالمسلمين، يفترقون على ثلاثة وسبعين فرقة؛ اثنتان وسبعون بدع وأهواء، وواحدة على السنة، فلذلك اختصوا بهذا الاسم، للدلالة على الإسلام الخالص، من الأخلاط الرديئة.

**قوله: (وَفِي حَدِيثٍ عَنْهُ أَنَّهُ قَالَ: "هُمْ مَنْ كَانَ عَلَى مِثْلِ مَا أَنَا عَلَيْهِ الْيَوْمَ وَأَصْحَابِي")**[٢]: هذه زيادة صححها الألباني -رحمه الله-، وهي تبين أن الفرقة الناجية هم من كان على مثل ما عليه النبي، صلى الله عليه وسلم، وأصحابه، في العلم والعمل؛ فأهل السنة والجماعة: هم الذين اجتمعوا على الأخذ

---

[١] أخرجه مسلم: رقم (١٥٣).

[٢] أخرجه الترمذي: رقم (٢٦٤١)، والحاكم في المستدرك: رقم (٤٤٤)، والمروزي في كتاب السنة: رقم (٥٩).

بسنة النبي، صلى الله عليه وسلم، والعمل بها ظاهرًا وباطنًا؛ في الأقوال، والأفعال، والاعتقادات، وهو الذي عليه السلف الصالح؛ من أهل القرون الثلاثة الفاضلة من السلف، ومن سار على طريقتهم من الخلف، وخرج من ذلك أهل البدع والأهواء؛ مثل: الخوارج، والروافض، والمرجئة، والقدرية، ونحوهم.

**قوله: (وَفِيهِمُ الصِّدِّيقُونَ)**: جمع صدّيق، وهو: الذي بلغ الغاية في التصديق.

**قوله: (وَالشُّهَدَاءِ)**: جمع شهيد، وهو: الذي قُتل لتكون كلمة الله هي العليا.

**قوله: (وَالصَّالِحُونَ)**: جمع صالح، وهو: الممتثل لأوامر الله، المجتنب لمناهيه.

وقد جمع الله هؤلاء المنعم عليهم في قوله: {فَأُولَئِكَ مَعَ الَّذِينَ أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ مِنَ النَّبِيِّينَ وَالصِّدِّيقِينَ وَالشُّهَدَاءِ وَالصَّالِحِينَ وَحَسُنَ أُولَئِكَ رَفِيقًا} [النساء: ٦٩].

**قوله: (وفيهم أَعْلامُ الْهُدَى، وَمَصَابِيحُ الدُّجَى، أُولو الْمَنَاقِبِ الْمَأْثُورَةِ، وَالْفَضَائِلِ الْمَذْكُورَةِ)**: من المحدثين، والفقهاء، والعباد، والمجاهدين، وغيرهم، ممن يطول المقام بذكرهم. وأسماؤهم لامعة كالنجوم في السماء، موجودة في الكتب المصنفة في المناقب وأعلام النبلاء.

**قوله: (وَفِيهِمُ الأَبْدَالُ)**: الأبدال: هم الذين كلما مات منهم أحد أبدله الله بغيره، فلم يزل الله تعالى يتعاهد هذه الأمة بهم، كما جاء في الحديث: (يَحْمِلُ هَذَا الْعِلْمَ مِنْ كُلِّ خَلْفٍ عُدُولُهُ، يَنْفُونَ عَنْهُ تَحْرِيفَ الْغَالِينَ، وَانْتِحَالَ الْمُبْطِلِينَ، وَتَأْوِيلَ الْجَاهِلِينَ)[1]، فكلما ذهب عالم أبدله بغيره، فتظل الأمة في مدد مستمر من عند الله، وهذا من تكفل الله بحفظ الدين.

**قوله: (ومنهم أَئِمَّةُ الدِّينِ، الَّذِينَ أَجْمَعَ الْمُسْلِمُونَ عَلَى هِدَايَتِهِمْ وَدِرَايَتِهِمْ)**: أئمة الدين: هم المتبوعون في مسائل الدين، كالأئمة الأربعة: أبي حنيفة، ومالك، والشافعي، وأحمد، وغيرهم: كسفيان الثوري، وسفيان بن عيينة، والشعبي، والأوزاعي، وإسحاق بن راهويه، وغيرهم كثير؛ يطول المقام بذكرهم، رحمهم الله، والإمامة في الدين تنال بالعلم واليقين، قال الله تعالى: {وَجَعَلْنَا مِنْهُمْ أَئِمَّةً يَهْدُونَ بِأَمْرِنَا لَمَّا صَبَرُوا وَكَانُوا بِآيَاتِنَا يُوقِنُونَ} [السجدة: ٢٤].

**قوله: (وَهُمُ الطَّائِفَةُ الْمَنْصُورَةُ الَّذِينَ قَالَ فِيهِمُ النَّبِيُّ صلى الله عليه وسلم: (لاَ تَزَالُ طَائِفَةٌ مِنْ أُمَّتِي عَلَى الْحَقِّ مَنْصُورَةً، لاَ يَضُرُّهُم مَّنْ خَالَفَهُمْ، وَلاَ مَنْ خَذَلَهُمْ؛ حَتَّى تَقُومَ السَّاعَةُ)**[2]: إما أن الله تعالى ينصرهم بالحجة والبيان، وهذا أمر لا يتخلف، أو بالسيف والسنان، وهذا قد يتخلف، وقد يجتمع

---

[1] أخرجه البزار: رقم (٩٤٢٣)، والبيهقي في السنن الكبرى: رقم (٢٠٩١١)، وابن وضاح في البدع: رقم (١،٢)، وصححه الألباني في المشكاة: رقم (٢٤٨).

[2] أخرجه البخاري: رقم (٣٦٤١)، ومسلم : رقم (١٠٣٧)، ورقم (١٥٦)، بألفاظ متقاربة.

الأمران؛ فتبين بذلك أن كل هذه الألقاب مستحقة لأهل الحق؛ فهم أهل الكتاب والسنة، هم الطائفة المنصورة، وهم الفرقة الناجية.

**قوله:** (**لاَ يَضُرُّهُم مَّنْ خَالَفَهُمْ**): يعني في الأمور العلمية.

**قوله:** (**وَلاَ مَنْ خَذَلَهُمْ**): في الأمور العملية.

**(فنَسْأَلُ اللهَ العظيم أَنْ يَجْعَلَنَا مِنْهُمْ وَأَنْ لاَ يُزِيغَ قُلُوبَنَا بَعْدَ إِذْ هَدَانَا، وَأَنْ يَهَبَ لَنَا مِن لَّدُنْهُ رَحْمَةً إِنَّهُ هُوَ الوَهَّابُ. والحمد لله وحده وصلى على خير خلقه محمد وآله وصحبه وسلَّم).**